التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني

الأستاذة: لبصير سعاد
المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

الملخّص:

تعد الحركة العلمية ظاهرة أساسية ومميزة في الخطاب الرحلي الحجازي الجزائري، إذ هي ذات دلالة على التاريخ الثقافي للعالم العربي وسبيل لتمتين الصلات والأواصر العلمية بين مشرقه ومغربه ، وتبادل المعارف والعلوم، وقد ساهم اهتمام الرحالة بتسجيل ذلك التبادل العلمي في الكشف عن آليات المثاقفة والدينامية العلمية والتفاعل الثقافي من خلال مجتمع متحرك يمثله ركب الحج.

الكلمات المفتاحية:

الرحلة، الحج، التّفاعل، المثاقفة، الإجازات، المناظرات، علم الحديث، الفقه، علم القراءات، المقري، الناصري، الورثلاني.

Résumé

Le mouvement scientifique est considéré comme un phénomène fondamental et distinctif dans le discours missionnaire Hijazi algérien. Ce mouvement révélateur de l'histoire culturelle du monde arabe et un moyen de consolider les liens et les relations scientifiques entre l'est et l'ouest, et aussi d'échange de de sciences et de connaissances. L'intérêt des voyageurs à l'enregistrement de cet échange scientifique a contribué significativement dans la découverte des mécanismes du dynamisme culturel et scientifique et de l'interaction culturelle à travers une société mobile représentée par les missions du pèlerinage.

Mots clés :

Voyage, pèlerinage, dynamisme, compétence, récompenses, débats, science du hadith, jurisprudence, science de la lecture, Al-Maqri, Naciri et Althralani.

مقدّمة:

تعرف الرحلة الحجازية على أنها فن نثري، وصفي مدون في سفر بأسلوب مميز يشمل تاريخ الخروج والوصول إلى البقاع المقدسة، ومحطات السفر، وهي نوع من الكتابة تكثر فيه الشهادات المدونة لتطلع القارئ على مختلف الميادين تترجم من خلال الكتابة والتدوين، وبذلك تصل إلى ذروة الإشعاع النصي لتحويل التجربة الإنسانية إلى كتابة حول مناسبة اجتماعية ،وتظاهرة ثقافية، وسوق اقتصادية ،وحلقات علمية ،بأسلوب أدبي وعبارات منمقة تدل على قدرة الرحالة على الصناعة اللغوية والأسلوبية، حتى أصبح غنى عن البيان انتماء هذا الخطاب الرحلي إلى الحقل الأدبي، إذ يقدم تصور شمولي للأدب وتفسير متكامل حول الظاهرة الأدبية ،منطلقة من زاوية محددة ومتأثرة بظروف معينة وخلفية معرفية حولتها إلى نصوص قارة يعسر الإخلال بها ،وانتظامات ثابتة لا تقبل النقاش والجدل، مما يبخس حقها وفوائدها من خلال النظر إلى الرحلة كمعطى لغوي وقاموسي، وليس كمفهوم تطوري بنيوي وظيفي.

ضمن هذا الاتجاه حاولنا من خلال هذه الدراسة التعامل مع الخطاب الرحلي الحجازي، كنص معرفي علمي تعددت فيه التيمات، وتنوعت فيه الخطابات، أي مخزون دلالي تاريخي، ومجالا دراسيا متجددا غني بمنطلقات فكرية وأطر منهجية، مما يوفر للمؤرخين والباحثين أدوات صاغها الرحالة بأنفسهم، فتمكنوا من أن يبنوا داخل حقل التاريخ طبقات رسوبية قابلة للتحليل والتفسير والتنظير في التعامل مع النص الرحلي كلبنة للدراسات التاريخية، أو كمصدر تاريخي يزودنا برصيد معرفي شمولي.

وحيث أنه لم يسعفنا المقام لتناول ودراسة كل ما تعرض له هذا الخطاب ، وفق مقاربة وظيفية تم اختيارنا للموضوع: «**التفاعل الثقافي و العلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المغرب والمشرق خلال العهد العثماني –بعض الرحلات نماذجا–**».

وهو اختيار قائم على معيار مركزي متمثلا في الحياة العلمية والثقافية، وهو عنوان محدد بزمان ومكان وهدف، ذلك أن الزمان (ثنائي عام وخاص) يمتد خلال العهد العثماني ، في حين يطرق الزمن الخاص موسم أداء فريضة الحج.

أما عن سبب اختيارنا لهذا المجال دون سواه مما حفل به الخطاب الرحلي الحجازي، فمرده:

– خصوصية النص الرحلي الحجازي في ثنائية العلم والدين، حيث كان يصحب الرحلة إلى أداء فريضة الحج نقل الأفكار والآثار العلمية والتزود بما هو جديد، وذلك لما كانت الرحلة شرطا من شروط اكتمال المعرفة، ووسيلة للقاء الشيوخ بشد الرحال إليهم وتبادل المعارف معهم من خلال آليات ترجمتها أقلام الرحالة إلى الحجاز.

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

–تحديد مفهوم الدينامية الثقافية,وعلاقتها بموسم الحج.

– الإحالة إلى بعض الرحالة الجزائريين و المشارقة ,ممن كان لهم اليد الطولي والقدم الراسخ والباع الطويل في نقل علومهم والتزود بمعارف علماء المشرق خلال رحلتهم لأداء فريضة الحج والتعرف عليهم.

– التعرف على بعض العلوم السائدة في ذلك العصر.

– الإشارة إلى ملامح توحيد النسق الفكري الجزائري المشرقي وكذا مع بلادالمغرب من خلال إبراز وسائل وآليات تعبر عن ظاهرة المثاقفة (الدينامية الفكرية).

وتحقيقا لهذه الأهداف اعتمدنا مقاربة وظيفية، من خلال تحديد السياقات التي وردت فيها آليات الدينامية الثقافية ،واستنباط وظيفتها في هذا المجال.

I– تعريف الدينامية الثقافية (العلمية) وعلاقتها بموسم الحج:

لا جدال في أن المتصفح للرحلات الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني، وغيرها من الرحلات على تنوعها يستوقفه حضور ثنائي الرحلة والعلم ضمنها، وذلك لما أخذ الإسلام بناصية العلم والثقافة، فحث على العلم، وشجع الخروج لتحصيله من ذلك قوله عز وجل ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[1]، وليس أدل في ذلك من سورة العلق إذ نزلت أول آية في القرآن بكلمة تحث على العلم وهي ﴿**اقْرَأْ**﴾[2]، لذلك حرص المسلمون على الأخذ به أينما وجد، وارتحلوا لتحصيله واغتنموا كل فرصة لذلك.

وجاء موسم الحج ليغنموا منه ما استطاعوا من عبادة ٍإلى جانب التحصيل العلمي...فشمروا على ساق الاجتهاد في العبادة، وفي علوم الدين فوزعوا الاهتمام بين الإفادة والاستفادة والتفاهم والتبادل للرأي في رحاب النفحات الايمانية المغذية لروح التجارب والطمأنينة، فمنهم من حرص على المزيد من الصفاء الروحي الممزوج بالعلم فطابت له المجاورة، ومنهم من قضى نسكه وغادر...وكان يحرص على أن يأخذ ما قدر له المولى جل شأنه من الاستفادة والبذل وتبادل المنافع والمعرفة...ً[3].

وقد دون الرحالة ذلك التفاعل ًفكانت الحركة العلمية ظاهرة أساسية في كتب الرحلات الحجازية فهي ذات دلالة على التاريخ الثقافي للعالم العربي، وسبيل لتجسيد روابط العلم، وتبادل المعارف بين المشرق والجزائر، والسعي للاطلاع على ما عند الشيوخ من أسانيد وروايات...وقام الحجاج العلماء بدور كبير في توثيق هذا التبادل العلمي، وإغناء موسم الحج بالبحث والتدريس والمناظرة والتنقيب على الكتب...ً[4].

وضمن هذا التمشي تكون الرحلات الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني، قد أرست قواعد الدينامية الثقافية وأسس النظرية الانتشارية في المنعرج الأنثروبولوجي، من خلال آليات التواصل التاريخي والعلمي بين المشرق و الجزائر ضمن مجتمع متحرك يمثله ركب الحج، الذي ترجم لمفهوم الجماعة بمرادفاتها ،وهو ما يقتضي البحث في وسائل التكامل والتقارب وتوزيع أدوارهم وخاصة درجة تنظيم هذه الجماعة وعلمها[5].

وبالتالي ترتسم فيما وراء اقتراب سطحي من المعنى، تعاريف أكثر دقة للأبعاد بنائية ووظيفية وكذا سيكولوجية، ضمن الحديث عن دينامية الجماعات التي يمثلها مجتمع ركب الحج، من خلال تسليط الضوء على دراسة المبادئ والقوى المختلفة المتحكمة في تلك الجماعات، وكذلك السيرورة التي تعرفها بفضل مختلف التفاعلات[6]، حيث يبرز في مقدمتها التفاعل والتواصل العلمي بين دول المشرق والجزائر و كذا المغرب في مجتمع ركب الحج، المعبر عنها بظاهرة المثاقفة.

تقوم المثاقفة على مبدأ التواصل وطلب

الاعتناء بثقافة الآخر، وإغناء ثقافته في الوقت ذاته بجو مفعم بالتكافؤ والحوار، مما يولد علاقة تفاعل مثمر يسير في اتجاهين[7]، وهي تنتج الثراء الفكري والغنى الحضاري والتقارب بين المجموعات، أي أنها تعبر عن دينامية ثقافية، أو تبادل ثقافي، وتترجم لعملية الأخذ والعطاء بين الحضارات البشرية المتعددة، كما تعبر عن "مصطلح سوسيولوجي ذو معاني متداخلة وتقريبية، وبصفة عامة يطلق هذا المصطلح على دراسة التغيير الثقافي، الذي يكون بصدد الوقوع نتيجة لشكل من أشكال اتصال الثقافات مثل الاستعمار والمبادلات التجارية والثقافية والأسفار والرحلات..."[8].

وبالعودة إلى الحقل الأنثروبولوجي فالمثاقفة تدل على تحول يستنبط فيه الطرفان المتواصلان ، فيساهم كل منهما بنصيبه، ويندمج كل منها في واقع حضاري جديد من خلال مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة بين التأثير والتأثر، وهو ما ينتج عناصر جديدة في طريقة التفكير وأسلوب معالجة القضايا وتحليل الإشكاليات[9].

ومن خلال القراءة التحليلية لبعض الرحلات الحجازية من الجزائر، نجدها قد ترجمت تلك التركيبة الثقافية والمفاهيمية للحركة العلمية وعملية المثاقفة(الدينامية الثقافية)، فلم تخلو رحلة من هذا النمط، وجاء بعضها على غرار رحلتي المقري والناصري ورحلة الورثلاني[10] "أشبه ببرنامج علمي ذكروا فيه شيوخهم ومن لقوه من الحفاظ والمحدثين والنجباء والأدباء ،ونحوهم ممن تزخر بأسمائهم رحلتهم..."[11].

وعلى هذا الأساس فإن توفر الرحلة على أدوات علمية صاغها الرحالة بأنفسهم أو تلقوها في جانب آخر، قد جعلها تساهم بأسلوب معقول في التعبير عن الاتصال الثقافي وعملية التفاعل العلمية بين المجتمعات.

II- آليات الدينامية العلمية ضمن الخطاب الرحلي:

1 - الإجازات والاستجازات: عرف المسلمون نظام الإجازات أو منحها في حضاراتهم المتتابعة، وقد كان يقصد فيها مشمولية نظام أساسي، فكان يجيز الشيخ المعلم أو الأستاذ المدرس بمسموعية ومرويات طالب العلم، الذي تعلم على يده فيصبح بذلك مؤهلا للإنابة في العلم الذي درسه[12].

واستفاء لمعنى الإجازة أورد التهانوي أركانها الثلاثة، وهي الشيخ أو العالم المجيز، والطالب المجاز له، ولفظ الإجازة13.

وبهذه الإحاطة تعرف الإجازة العلمية أنها "إذن من شيخ وطالب علم أو عالم آخر في رواية..."[14]، حتى يصبح مؤهلا للإنابة عنه في تولي منصب بالفتوى والتدريس[15].

وفي سياق المثاقفة والدينامية العلمية في الخطاب الرحلي،التي عبر عنها الرحالة من خلال "قبول المواد الثقافية عن طريق الانتقاء"[16]، استهل الرحالة ابو راس الناصري حديثه في ذلك من خلال تعظيم مكانة شيوخه بقوله: "...إعلم ببركة الشيوخ ومحبة أهل الرسوخ واجهت كلا منهم بآداب وتأملت فيه، وأمعنت النظر فيما زبر في كتابه أو خرج من فيه بإذعان وقبول لتحصيل كل مأمول، فحصلت لي عند ذلك مصة من حليب التوثيق، وحصة من ماء التحفيف، فنمت في لب من سمعها ووعاها وثمرت في قلب من قام بحقها ورعاها، فالشيخ عليه النفع يدور ويكبل الأرض قدمك إليه تخور..."[17].

وهو ما أفرز انتظامات ثقافية تعبر عن التواتر لعلاقات متبادلة متأتية أو تتابعية بين الظواهر الثقافية[18]، حيث نشأ تبادل فكري وثقافي، من خلال الإجازات التي حصل عليها الرحالة أو منحها للطلاب العلم، و يذكر الرحالة ابو راس الناصري حصوله على إجازة بعد استجازة[19]، من الشيخ أحمد بن عبد الله السويسي المغربي انجازا التونسي...(كذا)[20]، كما حصل على إجازة من الشيخ أبو الفيض الإمام مرتضى...وقرأت عليه مرة البخاري والكثير ومسلم ورسالة القشيري البعض من كل ،وأجازني في الباقي(كذا)[21]، وكانت إجازته له كتابية[22]،أما الرحالة المقري فحصل كذلك على إجازات في مختلف المناطق التي زارها،وذكر في رحلته أسماء الشيوخ الذين أجازوه، والعلوم التي قرأها عليهم، فأجازه في المغرب صاحب نيل الابتهاج الشيخ أحمد بابا التنبكتي، وكانت له إجازتين أولها أواسط محرم سنة (1010هـ/1602م)[23]، وإجازته الثانية كانت في 15 ربيع الثاني سنة 1010هـ، جاء فيها: أن يروي عني جميع ما يجوز لي وعني روايته، مما أخذته من شيوخنا، وسادتنا الفضلاء معقولها ومنقولها متى شاء بأي لفظ شاء على شرطه المعتبر عند أهل الأثر... لأنه إنما تصح الإجازة... إذا عين المجيز للمجاز له ما أجازه به...(كذا)[24].

وبهذا استثارت الدينامية الثقافية من خلال الإجازة بمعناها الوارد هنا عددا كبيرا من العلوم، التي يتم تبادلها بين الأشخاص وانتشارها، وهو ما يعبر عن عملية في ديناميات الثقافة تنتشر فيها العناصر أو المركبات الثقافية من مجتمع إلى آخر...يتم فيها الانتشار على المستوى الأفقي، أي بين مكانين، فهي بذلك عملية مستمرة...[25].

وقد تجلت لدى الرحالة المقري من خلال رحلاته الى الحجاز او بلاد المغرب انتشار المواد الثقافية ضمن الإجازات التي تتم في سياق الاتصال الثقافي، فحصل على إجازة باتصاله بالشيخ أبي عبد الله محمد القصار فقيه فاس ومفتيها، فأجازه بالرواية وأسانيدها في حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وموطأ الإمام مالك، والصحيحين (البخاري ومسلم) ومختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، والبردة ورسالة ابن أبي زيد في الفقه، وكتاب قوت القلوب للإمام أبي طالب المكي وإحياء علوم الدين للغزالي، وجمع الجوامع لابن السبكي، وجميع تصنيفاته وتصنيفات البيضاوي، وتصانيف الإمام عياض وتصانيف الفرابي وابن حجر وزكريا...[26].

كما نشر المقري ثقافته إذ أجاز عدد من الطلاب في كل أنحاء الوطن العربي مغربا ومشرقا في مختلف العلوم، ففي المغرب أجاز الشيخ أحمد بن علي السنوسي البوسعيدي (ت 1046هـ)، وأحمد بن موسى وعلي بن عبد الواحد الأنصاري[27]، كما أجاز الشيخ أبو عبد الله بن محمد التاملي بفاس نظما في خمسة عشرة بيتا[28].

وبذلك اصبح لإجازات المقري دورا هاما في انتشار المواد الثقافية وأصبح مفهوم الوظيفية هو المفهوم الأساسي، إذ ساهمت في انتشار أحد سمات الثقافة خارج حدود المجتمع المحلي...[29]، الذي نشأ فيه الرحالة، وهو ما ينم عن التواصل الفكري الذي شهده العهد العثماني بين علماء المشرق والجزائرو حتي بلدان المغرب، ففي مصر أجيز المقري على يد الشيخ أحمد بن عبد الرحمان الصديقي المالكي بتاريخ 12 ربيع الأول سنة (1029هـ/1619م)، جاء نصها : أجزت له بما رويته وأخذته واستندت عليه، واعتمدته عن السلف العظام، والسادة

الأعلام مشايخ الإسلام من مرويات ومسموعات ومصنفات ومجموعات إجمالا وتفصيلا أصولا ومعقولا، عموما وخصوصا...ً[30].

أما من أجازهم المقري في المشرق، فمنهم عبد الباقي الحنبلي الدمشقي[31]، والشيخ أحمد بن مسعود الرشيدي بثغر رشيد[32]، والشيخ محمد بن نور الدين الراشدي نظما[33]، وأيضا الشيخ أحمد بن القاضي شهاب الدين العجيمي، بإجازتين الأولى في جمادى الثاني سنة (1033هـ/1623م)، أما في الثانية فاجازه: ًبكل ما يجوز .. روايته، من مؤلف ومجموع ومقروء ومجاز ومسموع على الشرط المعتبر عند أصحاب الأثر، وفي عدة دروس في المنطق والأصلين..(كذا)ً[34]،ومن ذلك إجازته بمكة لخطيب الحرم الشيخ تاج الدين المالكي المكي[35].

فالإجازات ضمن هذا السياق تعبر عن مركب حضاري أو ً سمات حضارية مركبة ومترابطة وظيفيا ،ولها القدرة على المحافظة على تركيبها وترابطها الوظيفي بالنسبة للزمان، كما أنها قابلة للانتشار بشكلها المركب المترابط...ً[36]، اذ تعكس السمات والفعاليات الثقافية خلال العهد العثماني، وقد قدم الرحالة الورثلاني فيها أمثلة قليلة مقارنة بالمقري والناصري، فاكتفى عن طلبته بذكر حلقات العلم التي كان يعقدها، أما الإجازات التي حصل عليها فقد تناولها في سياق الحديث عن زيارته للعلماء أو المناظرات، فلم يورد نصوص تلك الإجازات ومنها إجازة ابن عمار له التي قال عنها :ًفقد أجازني في سائر العلوم...سيدي أحمد ابن عمار..(كذا)..ً[37].

وفي نفس المضمار تحدث عن حصوله على إجازة من الشيخ علي الصعيدي في الأزهر بمصر بالتأليف، ويذكر بشرحه في هذا النص ًالمسمى بمقدمة شرح السنوسي على صغراه...(كذ)ً[38]، و أجازه أيضا الشيخ علي الفيومي،على ً .. تفريد التوحيد وتجريد التفريد...ً[39]، كما حصل أيضا على إجازة من الشيخ أبو عبد الله محمد البليدي في مصر، ً في العلوم كلها، وزبر ذلك بخط يده... (كذ)ً[40]،وعن الشيخ الإمام العروسي: ً شرح خليلا شرحا مختصرا...(كذا)ً[41]، وكذا على يد الشيخ أبي خليل المغربي، أخذ: ً القطب على الشمسية أعني التصورات والعكوس والتناقض بحاشية السيد عليه،و في سائر العلوم....(كذا)ً[42]،وهو مافعله الشيخ المكودي حيث أجازه أيضا: ً في سائر العلوم وزبر ذلك تلميذه...(كذا)ً[43].

كما أجيز على يد الأستاذ أبي القاسم الربعي القسنطيني ً القراءات السبعية إفرادا..ً[44]،وكذا اجازه ً سلطان العارفين وإمام المحققين...الشيخ الحفناوي...وكتب الإجازة بخط بده.ً[45].

وعليه أصبحت الإجازات تعبر عن إضافات حضارية جلبت عن طريق الانتشار والاتصال الحضاري ،الذي يترجم بأنه ً..حالة المبادأة الذاتية المتبادلة بين مجموعتين حضاريتين لاطلاع كل واحدة منها على حضارة الأخرى، الأمر الذي يترتب عليه بصورة حتمية استعارة حضارية متبادلةً[46]، ومثاقفة علمية وفكرية.

2 – التدريس والتعليم:

تصدر الرحالة العلماء للتدريس في بلدانهم أو في المناطق التي زاروها، فكانوا بذلك يستعملونها كأداة ثقافية لنشر معارفهم وعلومهم، فالمقري خلال رحلته درس بفاس بالمكتبة السلطانية...[47]، وكذا بالمسجد الحرام بمكة وأملى الحديث النبوي بالمدينة[48].

كما درّس بالقاهرة الفقه و التفسير و الحديث بالجامع الأزهر، وفي ذلك قول قاضي القاهرة

عنه: "...واستبشرنا من أنفاس معارفنا بعدد دروس قد درست فدعونا الله تعالى أن يديم إقامته بهذه الديار نفعا للطلبة، بل وللعلم والأبرار...(كذا)"[49]، أما في دمشق : "فلم يتفق لأحد من العلماء الذين زاروا دمشق من قبل ما اتفق له من الإقبال والقبول....(كذا)"[50]، فدرس بالجامع الأموي الحديث، وكانت الجلسة يحضرها الألوف من عامة الناس والعلماء، وهي تعقد من طلوع الشمس حتى قرب الظهر ،وكان يوم الختمة من الأيام الخالدة في الشام[51].

ومثله الرحالة الجزائري سيدي احمد ابن عمار[52] فرغم أننا لم نجد ذكرا لتقلده منصب التدريس، غير أن الإيحاءات الواردة في رحلته أو رحلات معاصريه تثبت ذلك ،فيذكر الورثلاني إجازته له في مختلف العلوم[53]وقال عنه الناصري ابو راس: "...تخريج الأساتيذ من التلاميذ والفقهاء النحارير والعلماء الجماهير.."[54]، وكان الناصري هو الآخر من طلبته، كما أن هذا الأخير تصدر للتدريس، وساهم في نشر مختلف العلوم "فانتصب للتدريس...وعرف بالحفظ، فكان مجلسه العلمي كبيرا حتى بلغ، كما قيل تسعمائة وثمانين مستمعا أحيانا...(كذا)"[55]، وقد شهد لذلك بنفسه فيقول: "ثم إن البايات: أمراء بلادنا لما علموا كثرة الطلبة وازدحامهم عندي...عملوا لي كرسيا، فاستعنت به على الدرس غاية الاستعانة...(كذا)"[56].

أما الرحالة الورثلاني فهو الآخر ممن ساهم في "نقل المواد الثقافية أو السمات أو الأفكار..."[57]، العلمية من خلال التدريس، لما اتخذ من زاويته مدرسة لتعليم مختلف العلوم، حتى ذاع صيته في بلدته، وأقبل عليه الطلبة من كل مكان، وكانت حلقاته تعج بهم، وفي سياق الدينامية العلمية والثقافية كان الورثلاني يخرج من بلدته لإلقاء الدروس، فانتقل إلى بجاية، ويقول عن ذلك: "... وكنت كل عام أصوم رمضان ناويا للرباط مع تعليمي للطلبة...(كذا)"[58].

ونفس الشيء يذكر عن الرحالة التنلاني[59]، إذ عرف بكثرة طلبته الذين شهدوا له بغزارة العلم، وفصاحة اللسان، وكانت حلقاته ودروسه تعج بالطلبة والرواد والمستمعين، ومثله الرحالة المصعبي فرغم أنه لم يتصدر رسميا لمناصب التدريس، إلا أنه ساهم من خلال تنقله بين المدن والقرى في الجزائر وخارجها لمحاربة البدع في نشر العلوم التي كان يتقنها وخاصة الدينية منها[60].

وعليه فإن البحث في الدينامية العلمية والثقافية ضمن الرحلات الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني، تحيلنا إلى كثرة حلقات العلم والتدريس التي كانت تعقد في الزوايا والمساجد والمدارس، وحتى في منازل بعض الشيوخ أو العلماء، فيذكر ابو راس الناصري بقاءه مع ابن عمار في منزله والأخذ عنه بقوله: "أمجد النظار السيد أحمد بن عمار عالم الجزائر محط رحال المستفيد والزائر/ أروى عليه الحديث في داره بمقصورة بلصق جاره...(كذا)"[61].

و يختزل الناصري القول في هذا السياق بوصفه لمجلس العلماء قائلا: "فاعلم أن العلماء الذين تنقل عنهم هذه الأجوبة ما منهم إلا عالم أوحد، لا ينعت ولا يجد مبنيا على قواعد التحقيق والإتقان مؤديا صحيح المعنى، بأبدع الاتقان، مجالسهم أبهى من الروض الآنف وزهدهم سارت به الركبان، ومحاسنهم يقصر عنها اللسان، أعلام آجله وعلماء ملة...(كذا)"[62].

كما يحدثنا الورثلاني أيضا عن ذلك من خلال وصفه لمجالس العلماء وكثرة الطلبة بها، و يذكر صحبته لعلماء الجزائر وفوائدها، ويستطرد في ذكر أسمائهم بقوله: "...هذا وإني عدت أن

أذكر من ذهب معنا من فضلاء بلادنا من عمالة الجزائر، ليتنور هذا الموضع بذكرهم ولتقع لهم الشفاعة فينا، وفيهم ببركة من ذكر في هذه الرحلة منهم الفاضل العالم القاسم الطيب...والفضلان الفقيهان سيدي محمد وسيدي عبد الكريم.. (كذا)[63]،وقد علل الرحالة ذكره للعلماء الذين رافقوه في رحلته بقوله: "وإنما ذكرت هؤلاء في هذه الرحلة لعل الله أن يمن علينا وعليهم بعطف محمد صلى الله عليه وسلم...وليعلم الانسان إن الزاد وإن كان ركنا في الحج وشرط فيه فالركن القوي الرفقة المأمونة من وطنك وغيرهم ،ومن لم يجد رفقة من وطنه فلا يغر بنفسه...خصوصا الإخوان في الله فلابد منها...(كذا)"[64].

وعلى هذا الأساس تشكل مجتمع ركب الحج من العلماء والفضلاء فصاروا ينشرون علمهم ومعارفهم فيما بينهم، وفي المناطق التي زاروها، وفي نفس المضمار يذكر الشيخ التنلاني رفقته للعالم عومر بن سيدي عبد الرحمان، وهو "الشيخ الفاضل...المشارك المهام أبو الحفص سيدي عومر بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني...بن زاوية المهدية... كان من قواد ركب الحجيج...(كذا)"[65]، وأيضا رفقته لابن عمه سيدي إدريس[66].

وعليه كان الرحالة لا يضيعون فرصة لزيارة أحد العلماء والأخذ عنه، فيذكر المقري في رحلته نزوله في دمشق إلى حلقات المشايخ كالشيخ نور الدين علي بن زين العابدين الأجهوري، والعالم نجم الدين محمد بن محمد العامري الغري، وعبد الرؤوف بن تاج الدين المناوي، وصهره الشيخ يوسف بن عبد الرزاق بن أبي العطا بن زفا ، وأخذ عنهم وأجازه الكثير كالشيخ أحمد بن عبد الرحمان الصديقي المالكي[67]، و استقبله بدمشق أديبها وشاعرها أحمد شاهين القبرصي الأصل الدمشقي المولد[68].

وعن لقاء العلماء يذكر الورثلاني الكثير ففي قابس يحدثنا عن أخذه عن علمائها وكثرة الإقبال عليها منهم:"العالم...موسى الجمني الذي تؤخذ عنه العلوم والفنون شتى تأتيه الطلبة من كل البلاد وتشد إليه الرحال من جميع القرى والأمصار..."[69]، وفي تاجوراء لقي جمع من طلبة العلم من مدرسة الشيخ الفاضل المدرس، سيدي محمد النعاس[70]. وهو مايوفر فرصة للتبادل العلمي والثقافي.

ويتحدث الرحالة أيضا عن سنة العلماء المغاربة في عقد المجالس العلمية، وتبادل المعارف بالإشارة إلى مجلس أحد العلماء بليبيا، وهو الشيخ محمد بن مقبل فيصفه بقوله: "فإذا بتنا في داره جمع الخاصة من العلماء والفضلاء والأدباء والأساتيذ القراء...وحصول المدد لنا بسبب معرفتهم وقوة انفعالنا بكيفية اجتماعاتهم...فربما زال عنا اليوم في تلك الليلة بأسا، بإلقاء الفوائد بالحكم النبوية والفوائد النقلية والأفهام الوهبية ،والعلوم الدينية والأشعار الأدبية والحكايات السنية والقصص الماضية ،فيزهو المجلس بالأنوار... هي روضة من المقرنين الكمل...ولو تراها تقول هي جنة عدن يعيشاها روح وريحان...وقد تزين مجلسنا بوجود الفاضل...السيد النوراني الشيخ محمد العربي الفرجاني...وقد اجتمعنا أيضا... الفقيه الجليل الشيخ محمد السوداني...(كذا)"[71].

وفي مصر تغنى بكمال مجلس الشيخ سالم النفراوي فلا: "... سأله أحد في المجلس لأن جميع ما يخطر ببالك إلا ألقاه في الدروس وإن بقي شيء ألقاه عليه بعد الفراغ منه...، فلا نرى أحد في الجامع مثله لأنه شيخ الجميع..(كذ)"[72].

وفي هذا المضمار يتناول الخطاب الرحلي

مجالس العلم والعلماء، كأداة لعرض وتبادل القدرات الذهنية والمواهب الإبداعية والفنية "فهي دائرة حضارية متكونة من مجموعة من الفعاليات الإنسانية، تشمل عددا من الأنساق: اجتماعية ودينية وفكرية..."[73]، يمثل فيها مفهوم الوظيفة الدور الأساسي كونها "عملية في ديناميات الثقافة تنتشر فيها العناصر والمركبات الثقافية..."[74]، حيث تمكن العلماء من خلال الرحلة إلى الحجاز من تفعيل التواصل الفكري وبث علومهم وتنشيط الحياة العلمية[75]، ويقول الورثلاني عن ذلك :"اجتمعت مع جماعة من الفضلاء وهم النجباء فاستفادوا منا واستفدنا منهم...(كذا)"[76].

والجدير بالذكر أن أهم ما تميزت به العلوم المتبادلة من العلماء خلال الرحلات الحجازية هو طغيان العلوم الشرعية من تفسير وقراءات وحديث رواية ودراية، بما في ذلك علم الفقه، مع وجود إشارات إلى بعض العلوم الأدبية كالنحو، والعقلية كالكيمياء وفي هذا السياق نذكر :

2 -1 علوم القرآن: ومنها

2-1-1 التفسير:

يعرف التفسير لغة أنه الإظهار والكشف، أما اصطلاحا فهو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[77]، فهو علم يخص تفسير القرآن، وكشف معنى الغموض في اللفظ أو المعنى، وقد عرفه ابن خلدون بقوله: "...فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية، بحسب الوقائع، ومنها ما هو العقائد الإيمانية... حتى صارت العلوم والمعارف ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك"[78]، وهو بذلك يعنى "بمعرفة نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وأمثالها"[79]، وعلى هذا الأساس أصبح علم التفسير من العلوم المنتشرة بين المسلمين.

كما كان تدريسا وتأليفا من العلوم الشرعية الشائعة في العهد العثماني مشرقة ومغربه "فتناول العلماء التفسير في مجالس دروسهم إلى أن اشتهروا بها"[80]، وهو ما سيق في ثنايا الرحلات الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني، فعرف عن المقري بأنه درس في الجامع الأعظم بمدينة الجزائر تفسير القرآن الكريم[81].

وقد حدثنا المحبي عن ذلك واصفا المقري بقوله :"آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات..."[82]،وله تأليف في هذا العلم[83]،اهمها كتابه «إعراب القرآن»، حيث أدرك من خلاله دقائق التفسير وأحاط به، ومما ورد فيه قوله :(من الجنة والناس، عطف على الوسواس، أي من شر الوسواس والناس، ولا يجوز عطفه على الجنة، لأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس، إنما يوسوس الجن، ولما استحال المعنى حملته على العطف على الوسواس)[84].

وله أيضا مقصورة في سورة القرآن[85]، وهو ما انتفع به طلبة العلم من خلال الحلقات التي يعقدها خلال رحلته.

وفي نفس المضمار تناولت رحلة الورثلاني أيضا علم التفسير بالإشارة، إلى بعض العلماء، ممن عنوا بهذا العلم في مجالسهم من ذلك :"الشيخ عمر الطحلاوي...في الجامع الأزهر سمعت منه بعض الرسالة الوضعية وبعض التفسير

وهو ذو الجلالين...وكذا سألته أيضا في قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر...»[86]، وفي ليبيا يذكر الشيخ محمد الصكلاني (المشتغل دائما بتفسير القرآن..)[87]. واجتمع أيضا في مصر ببعض المفسرين إذ ذكر منهم :«العالم المؤمل والفقيه المفسر المحدث المخبر المنطقي الكلامي المؤرخ الأصلي البياني الجامع بين الحقيقة والشريعة الشيخ المنور التلمساني...»[88].

وفي سياق الانتشار الفكري لعلم التفسير يورد الناصري في رحلته إلى الحجاز ما يستدل به عن دينامية فكرية آليتها تدريس علم التفسير وتبادل أفكاره بين العلماء في حلقات تدريسهم، مشيرا إلى خلفيات ظهور علم التفسير عند المسلمين بقوله :«...ولما علم مهارة التابعين أن ليس كل أحد يقوم بفهم القرآن العظيم، دونوا عليه تفاسير القرآن والحديث لأن ذلك وسيلة إلى معرفة ما وقع به التكليف...»[89]،وقدم مثال عن ذلكعما سئل عنه عن قول شيخ المالكية الشيخ أي محمد عبد الله بن أبي زيد: «...أنه فوق عرشه المجيد بذاته، فأجبت بأن شارحها الشيخ أبا الحسن، قال: أخذ عليه في قوله «بذاته» بأن هذه اللفظة لم يرد بها السمع وأحسن ما قيل في دفع الأشكال، أن الكلام يتضح ببيان معنى الفوقية والعرش المجيد والذات...»[90]،

وفي نفس السياق يذكر تفسيره للآية 11 من سورة الأحقاف[91].

2-1 -2 علم القراءات:

القراءات لغة جمع قراءة مصدر قرأ، واصطلاحا هي مذهب من مذاهب النطق يذهب به إمام من الأئمة مذهبا يخالف غيره يكون نائبا بأسانيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[92]، ويمكن تناول هذا العنصر ضمن الدينامية الفكرية في سياق انتشار المثير الفكري الذي يعبر عن «عملية الانتشار الثقافي التي تنتشر فيها فكرة... من شعب إلى آخر، ويصوغ فيها المستقبلون هذه الفكرة في شكل جديد متفرد...فتحدث في الظروف التي لا يلقى فيها النسق، أو النمط في حد ذاته أي مقاومة لانتشاره...»[93].

وعلى هذا النحو برزت في الرحلة الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني، عملية الانتشار الفكري ضمن تعلم وتعليم علم القراءات، فتعلم المقري على عمه سعيد المقري قراءة القرآن، مثلما حدثنا بذلك بقوله: «قطعنا نبذة من اكتساب في مواطن الأحباب، ما بين دراسة ودراية ورواية وممارسة أمور...وملازمة دروس بين يدي أشياخ ومجالسهم...وخصوصا شيخهم...عمنا سيدي السعيد بن أحمد المقري...(كذا)»[94].

ومثله التنلاني تعلم قراءة القرآن وحفظه في الزاوية التنلانية، على يد الشيخ أبي حفص بن عمر بن عبد القادر التنلاني[95]، أما الورثلاني فهو الآخر أخذ القرآن وحفظه في زاوية والده على يد الشيخ يوسف بن بشران وعن ذلك يقول: «...معملنا في القرآن سيدي يوسف بن بشران...(كذا)»[96].

كما قرأ أبو راس الناصري أيضا القرآن على ثمانية شيوخ في صغره فيذكر عن ذلك قوله: «أول شيوخي والدي الشيخ أحمد قرأت عليه إلى «تلك الرسل فضلنا»... وأنا صغير جدا وأول بدئي من سورة «إذا السماء انفطرت ولم أقرأ (أ.ب.ت.ث)، وتعلق قلبي وحفظي ما تحتها من غير تعليم، ولم يعلم لي أحد الحروف بنقشها... بل بدأت من السورة المذكورة، أكتب بيدي ثم سافرت...فذهب بي أخي إلى الشيخ علي التلاوي...فلما جمعت القرآن أتيت إلى الشيخ منصور الضرير صاحب القراءة المتفننة والأحكام

الموقنة...وظهرت عنده في القرآن وعلومه...ولي خمسة أشياخ من تلاميذته...فهذه ثمانية شيوخ لي في القرآن العظيم...(كذا)[97].

وقد عبر الناصري عن دينامية هذا العلم من خلال رحلته إذ حدثنا عن حلقات العلم التي كان يأخذ فيها علم القراءات أو يعلمه بقوله :ذهبت إلى مدينة الشيخ على بن أحمد...وقد تعجب من حفظي ولفظي وقراءة الطلبة القرآن عني...ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها...سافرت إليها...ولما وصلت قرية العيران إحدى جهات أبي علوفة، فكنت أقرأ النهار...فأول ما بدأت على الشيخ مصطفى بن هني ثم الشيخ محمد بن إبراهيم ثم الشيخ مصطفى بن يونس...وله صوت حسن كرنة المثاني...ثم إني انتقلت من قراءات شيوخ أبي علوفة...وهم أربعة أربعة إلى القراءة على شيوخ (مازمنه) فجلست حلقة... شيخنا الشيخ ابن علي ابن الشيخ أبي عبد الله المغيلي ذي القراءات الصحيحة المؤسسة... (كذا)[98]،ويبرز اهتمامه أيضا بهذا العلم من خلال حديثه عما سئل عن القراءات في مكة فأجاب [99]،وقد ذكر قراءته لتفسير سورة النور عن السيد عبد المالك مفتي الشافعية في مكة[100].

وفي هذا المضمار يذكر الورثلاني من عنوا من العلماء بهذا العلم وأخذ عنهم :في مصر أيضا، العالم الشيخ المنور التلمساني...وقد كان يقرئ في رواق المغاربة ...(كذا)[101]،وعن الشيخ أبو القاسم الربيعي اذ قرأ : سورة البقرة، والفاتحة عليه [102]،أما عن سيدي أحمد الإشبيلي تلميذ الشيخ الحفناوي فيؤكد :...قرأت عليه بعض مختصر السعد في البيان قراءة تحقيق...(كذا)[103]، ومن هذا المعطى انتشرت طريقة قراءة القرآن خلال الرحلة إلى الحجاز، إذ كانت من العلوم المتبادلة بين العلماء وهو ما يجعل تدريسها أداة للتواصل العلمي والفكري،وألية للتبادل العلمي.

2-1 -3 الفقه:

الفقه لغة هو الفهم، وقيل هو الفطنة، أما اصطلاحا فيطلق على ما يستنبط من أحكام الشرع، التي تتعلق بأعمال المكلفين من حيث حلها أو حرمتها أو إباحتها أو كراهتها[104]،وهو ما ورد في الرحلات الحجازية من الجزائر، إذ تم ذكر الأحكام الخاصة بالحج ومناسكه والآيات الدالة عليه وكذا الأحاديث، فحدثنا الرحالة ابن عمار في رحلته على وجوب الحج لمن استطاع إليه سبيلا، وفي ذلك قوله :قال الله تعالى ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾105، قيل المعنى من لم يحج وعبر عنه بالكفر تغليظا...(كذا)[106].

وقد استشهد في هذه القضية الفقهية بأحاديث نبوية :كقوله صلى الله عليه وسلم [من ترك الصلاة فهو كافر] وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون...وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه، وتغليظا على تاركه ولذلك قال ﷺ **[من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا]**، وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في الصورة الإسمية على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى، في رقاب الناس وتعميم الحكم أولا، وتخصيصه ثانيا، فإنه كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث أنه فعل الكفرة، وذكر الاستغناء، فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان، وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم،

والدلالة على الاستغناء بالبرهان والإشعار بعظم السخط، لأنه تكليف شاق جامع بين كبير النفس وإتعاب البدن وظرف المال والتجرد عن السهرات والإقبال على الله تعالى...(كذا)"[107].

وفي سياق المسائل الفقهية التي وردت في الرحلات الحجازية، ما ذكره الورثلاني حول تحريم وإباحة شرب القهوة والدخان وذلك بناءا عما ورد لدى الفقهاء[108]، ومثله الناصري أيضا إذ جاء ضمن رحلته أحكام حول إباحة شرب القهوة وتحريم شرب الدخان والخمر[109]، وتماثل معهم المقري أيضا في تلك القضايا[110].

ومن جملة المسائل الفقهية التي أوردها الناصري في رحلته وتبادلها مع علماء المشرق حول أكل الميتة والجراد والسمك، يقول: "سئلت عن قول الحسن بن زياد لأبي حنيفة... رضي الله عنهما (إني آكل الميتة وأحب الفتنة وأكره الحق وأشهد بما لا أراه)، فأجبت أن الميتة والجراد والسمك لحديث (أحلت لنا ميتان السمك والجراد والفتنة المال والولد قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[111]، والحق الموت، «الشهادة بما لم يره» هو الله وحده بأن يشهد أنه وحده ولا شريك له، وكره الموت ومحبته مفصلة في الخفاجي...(كذا)"[112].

وضمن هذا الموضوع ما ورد في الخطاب الرحلي حول أسس الفقه، إذ أكد الرحالة أن أهل المشرق والمغرب يستفتون حسب مذاهب الأمة الأربعة، وكان تركيزهم في ذلك على الاختلاف الوارد بين المذاهب الأربعة فيقول الناصري: "لا ينبغي للرجل أن يفتي حتى يعرف اختلاف العلماء فيحتار منها بمقتضى علمه الأحوط للدين والأوقف باليقين...(كذا)"[113]،وتماثل معه الورثلاني بالإشارة إلى قضية تناقض المذاهب في قراءة البسملة في الصلاة قبل الفاتحة، ويوجز عن ذلك الاختلاف ما نصه: "حاصلة أن التناقض الواقع بحسب المذاهب الفقهية، إذ كانت مدونة، ومقتفية كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، يجب أن يحمل كل رأي منهم على الإصابة في نفس الأمر، بمعنى أن من عمل بمقتضاها غير مؤاخذ شرعا، .(كذا)"[114].

وهذا السياق فيه دلالة واضحة عن التحول في تاريخ المعاني والأفكار والعلوم ،التي ساهمت في تبلور وتطور الفكر البشري، فمن خلال تحليل رصين لأسس المذاهب الفقهية، يبرز تاريخ بمفاهيم جديدة، عبر عنه ميشال فوكو :"بتاريخ الأفكار وهو علم...الموضوعات الفكرية...وهو تحليل للآراء أكثر منه تحليل للمعرفة، تحليل للأخطاء أكثر من هو تحليل للحقيقة، تحليل لا لأشكال التفكير بل لأنواع العقليات..."[115].

وضمن هذا التحليل النظري نقرب من فرضية إسهام الرحلات الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني، في تحديد "فرع معرفي يتناول البدايات والنهايات ،ويهتم بوصف ألوان الاتصال المبهمة...ويتبع انطلاقا من ذلك المبادلات التي تتم بين الميادين المعرفية وهجرة الأفكار، وذلك من خلال إبراز كيف تنتشر المعرفة العلمية وتكون مناسبة لولادة مفاهيم فلسفية، وتفصح عن نفسها أحيانا..."[116].

وفي هذا السياق ذكر الناصري أيضا من لقيهم من فقهاء مبرزا: "تلك المبادلات التي تتم بين الميادين المعرفية وهجرة الأفكار..."[117]، من ذلك :"الشيخ الإمام المشهور...أبو الفيض الإمام المرتضي...الواعظ الفقيه المجتهد النظار... (كذا)"[118]، كما تناول هذا الموضوع من خلال ذكر مؤلفاته في الفقه ضمن رحلته بقوله: "الفقه

منه ذرة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراشي، في ستة أسفار وقد تكلمت فيها مع علماء كبار منهم الشيخان الراسخان سيفا السنة الأمضى منحهما الله العفو والرضا الفقيه الأصفى الشيخ مصطفى، ومحشي الزرقاني، محمد بن الحسن البناني...والأحكام الجوازل في نبذ من النوازل، ونظم عجيب فني فروع، قليل نصفها مع كثرة الوقوع» و»الكوكب الدري في الرد بالجذري»، و»ما رواه الواعون في أخبار الطاعون»، و»النبذة المنيفة في ترتيب فقه أبي حنيفة» و»المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك»[119].

و فضلا عن ذلك يرد الكثير عن علم الحديث و علم التوحيد و العقائد ، الا أن المقام لا يسعفنا للتطرق اليه.

3المناظرات:

تعتبر المناظرة فن قديم يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، فلطالما أحب الانسان عرض أفكاره على غيره وعرضها عليه ، وقد عرفت المناظرة في الفلسفة اليونانية، حيث أوجد أرسطو وأفلاطون طريقة الحوار وترجمها العرب باسم (طوبيقا)، وهي فن أصل في ثقافتنا، أرسى القرآن أركانه، وأكد أنها أرقى سبل الإقناع، وقدم نماذج عن هذا الفن [120].

و قد انتشرت المناظرات بين علماء المسلمين فلم يخلو عصر ومن وجودها، ليزدهر ويبلغ ذروته في عصر نهضة العرب والمسلمين الحضارية، من ذلك ما قدمته الرحلات الحجازية عامة ورحلات حجازية من الجزائر بصفة خاصة، إذ حفلت بنصوص لمناظرات بين علماء المشرق و الجزائر أو غيرهم من علماء بلاد المغرب ،على أن المعنى الذي سنأخذ به في هذا المقام هو المناظرة للتعبير عن طريقة من التعلم، وضرب من ضروب الأخذ...والجدال بقصد الدفاع عن رأي أو نقص رأي...[121]، وبالتالي إبرازها كآلية أساسية في التواصل الفكري والعلمي بين الراسخين في العلم والمساهمة في الدينامية الثقافية والفكرية.

وفي هذا المضمار نلاحظ تعدد أنواع المناظرات ضمن الحلقات العلمية التي وردت في الرحلات الحجازية، فيقدم المقري مناظرة فقهية مع علماء مصر حول تفسير سورة النور فلما دخل مصر في توجهه إلى الحجاز وقعت بينه وبين أهل مصر منازعات أسفرت عن التسليم بحفظه...(كذا)[122].

كما أورد الناصري عن كثرة مناظراته خلال رحلته إلى الحجاز الكثير، ففي مصر يقول: ...اجتمعت مع علماء مصر بالجامع الأعظم وتناظرنا(كذا)[123]، وفي تونس أيضا يؤكد: اجتمعت مع علماء الجامع الأعظم فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل المخفية وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله [124]، ...وتذاكرنا في مسائل جمة...)[125].

وفي الحجاز يشير إلى مناظراته بقوله: ولما ذهبت للحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابية –وهم تسعة علماء أكابر جماهير وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم– فوقع لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤالات وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة من الأمهات...(كذا)[126].

وفي المدينة المكرمة يذكر ذلك بقوله :ثم رحلت لطيبة...ولقيت بها علماء أجلاء من كل قطر ومصر...وجري لنا مع العلماء أبحاث ومناظرات غير مرات...(كذا)[127].

أما الشام فلم يستثنها من هذا المجال إذ يقول: "...رحلت إلى الشام، فتكلمت مع علمائها في مسألة من (الحبس)، نص عليها الشيخ أبو زكريا ابن الخطاب رحمه الله، إذ طال بحثنا فيها جدا، ثم إنهم لقولي ووافقوني وأنصفوني بعد الدلائل القاطعة والأجوبة الرائقة، والمباحث الفائقة، وذلك شأن العلماء...(كذا)"[128].

وفي فلسطين أيضا يذكر مناظراته فيقول: "ثم رحلت إلى غزة...ولقيت علمائها وأمرائها فضيفوني وأكرموني، وتناظرنا في مسائل من العلم المختلفات برهة من الزمان، فاعترفوا لي بالفضل والعلم والحفظ..(كذا)"[129].

وفي هذه النصوص دلالة على انفتاح العلماء العرب والمسلمين على هذه المحاججة الفكرية، ووسيلة التحليل للقضايا والأفكار، كما تعكس تمكن الناصري وقدرته وتفوقه على علماء المشرق والحجاز.

ومن أمثلة المناظرات التي أوردها الناصري، مناظرته مع شيوخ الوهابية، إذ يقول في ذلك: "...تناظرنا بعد صلاة العصر قبالة الحجر في صلاة العصر، وقراءة دليل الخيرات والشيخ بالسبحة، ومشاهد السادات، وهدم مباني الأولياء ذوي الكرامات، فرجعوا عن البعض بعد الاستدلال بالنصوص العظيمة العميمة، وكان ظني فيهم أنهم حنابلة المذهب ففاوضتهم في قصر الصلاة فقلت: أن الإمام أحمد بن حنبل عنده نية إمامه أربعة أيام صحاح تقطع حكم السفر، فقالوا: عندنا القصر لا ينقطع ما دام السفر فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع، وأما في العقائد فهم على ما عليه الإمام احمد، ألا يرى أن الحافظ الذهبي والمربي والبرزلي شافعية في الفروع والاعتقاد...(كذا)"[130].

وتبرز ضمن هذا النص عدة قضايا أهمها أن الناصري أبو راس اعتمد في جداله مع علماء الوهابية على المرجعية الدينية من كتاب وسنة، كما تؤكد تمكنه من مختلف العلوم وأهمها الفقه.

وفي سياق آخر يذكر الناصري مناظراته في مازونة مع الشيخ الطيب بن كيران فيورد نصها بقوله: "ثم إن الشيخ الطيب بن كيران ناظراته في قوله ﷺ (حبب علي من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب وجعلت وورد عيني في الصلاة) فحمل الحديث على ظاهره فقلت: الصلاة من أمور الآخرة وإنما الثالثة أكله ﷺ: "الدباء" مثلا وأن هذا من أسلوب العرب يذكرون جملة ويقتصرون على البعض قال تعالى ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾ ولم يذكر غيره، كعدم نزول الطيور عليها، وإهلاك الجبابرة، وإتيان الخلائق لها كل سنة من أقاصي المعمور...(كذا)"[131].

ومثله حدثنا الورثلاني عن مناظراته مع العلماء ممن لقيهم في رحلته ومنهم مع والده، فيقول في ذلك: "...هذا وقد وقع بيننا وبين الوالد رحمه الله نزاع في بعض المسائل من مسائل الفقه، فاستظهرت أنا والعلامة الفاضل والمحقق الكامل عمنا سيدي محمد الصغير ...(كذا)"[132]، وهي مناظرة فقهية بين الورثلاني ووالده حول صحة الصلاة أو عدمه إذا ما أخل بأحد أفعالها وأركانها.

وعلى هذا الأساس فالمناظرة في هذا السياق تنقل من مجرد النقاش، إلى جدال ومحاججة بهدف إزالة اللبس في قضية ما، لذا فهي تقتضي طرفين في المجادلة والمناظرة أمام جمهور من ذوي المعرفة، فتقوم على أساسين أو اتجاهين متعارضين حول قضية ما، ومن أمثلة ذلك في رحلة الورثلاني مناظرته مع الشيخ سيدي على

الصعيدي التي أوردها بقوله :ًوقد حضرت مجلسه في الفقه في مختصر خليل بشرح الشيخ الخرشي وهو يخشى فيه...وقد باحثته في بعض المسائل الفقهية في مجلس أقرائه إذ وجدته في السهو من الشيخ الخرشي المذكور فأورد على الشيخ الخرشي اعتراضات غير أنه يغلط عليه ويكثر من قوله كلام الخرشي فاسد فلما سمعت ذلك أصابتني غيرة...(كذا)ً[133].

وقد ترك الورثلاني تأدبا الشيخ رغم تحفظه على كلامه إلى أن انتهى ليجيبه ويحاججه بالحسنى فيقول: ًفلما أتم كلامه أغلظت عليه القول فلم يؤخذني بذلك بل قال: ما البيان فقلت له: المعطوف في الحقيقة محذوف تقديره كتشهد وسر في بعض الفاتحة أي كترك التشهد وترك سر، بأن أعلن وقد صور المصنف الشيء بضده، ولذلك قلنا المعطوف في الحقيقة محذوف كما سبق، فسلم ورضي الله عنه على يدي وقبلها... (كذا)ً[134].

ولم يستثن ابن عمار هذا الفن في رحلته إذ تضمنت أنواع المناظرات، منها مناظرة بين الشعراء، في قضية التفضيل بين الورد والنرجس بين ابن رومي وبعض الشعراء البغداديين من ذلك قوله: ًوقال في ابن الرومي...يفضل النرجس على الورد:

للنـرجس الفضل المبين وإن أبى
أب وصلا عن الطريقة حائر

وقد قابضه جماعة من البغداديين وغيرهم فمنهم أحمد بن يونس الكاتب مفضلا الورد ًً[135]

واستشهد في عرض الموضوع نقلا عن أمهات الكتب، ما تمت فيه المناظرة بين الشعراء والآداب فيقول: ًقال الصفدي :وقد وضع بعضهم كتابا في المفاضلة بين الورد والنرجس، لأن الشعراء أولعوا بذلك كما ضيف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم والنخل والكرم ومصر والشام والشرق والغرب، والعرب والعجم والنثر والنظم والحواري والمردان، بكل ذلك يمكن البليغ أن يأتي بحجة، وأما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل في ذلك مجال وما عسى أن يقول البليغ وللجاحظ في ذلك رسالة بديعة انتهى قلت، وكذلك المفاخرة بين مكة والمدينة المشرفتين، وقبا والعوالي، والبيض والسود، والليل والنهار، والسماء والأرض، والشباب والشياب... (كذا)ً[136].

وفي هذا السياق أيضا قدم ابن عمار مناظرة بين علماء المسلمين حول أفضلية ليلة المولد النبوي أم ليلة القدر[137].

ومن هذا الطرح تأخذ الكتابة التاريخية منحى مختلف اعتمادا على المناظرات كآلية ورافد من روافد الفكر والبحث، لما تعرفنا على أصوله وهو الكتاب والسنة وأقوال البالغين، ولذا تعد مصدر أساسي للتعرف على آليات التواصل الفكري والعلمي، كما تأخذ من هذا الموقع نصيبا من الفلسفة الجدلية المثالية التي نادى بها هيجل في جزئيته لدراسة الفكر، حين ينتقل إلى الآخر أي نقيضه ،أو حين يخرج من عالمه الخاص إلى عالم غير ذاته، ومن جهة أخرى دراسة الأفكار حين يعود من الآخر إلى ذاته أي حياته الروحية[138].

وحسب فلسفته فهي أعلى شكل من أشكال التفكير، وقد أطلق عليه مصطلح الدياليكتيكية التي تعامل معها إنجلز على أنها أسلوب البحث مؤكدا: ًبأنها تتناول الأشياء وانعكاساتها الفكرية في علاقاتها المتبادلة، وفي تشابكها وفي حركتها، وفي شؤونها وزوالها، فإن مثل هذه العمليات السابق ذكرها، لا تفعل غير أن تؤكد طريقه في

البحث..."[139].

وذلك اعتبارا من أن المناظرات لا تسمح بالتناقض المنطقي، بل تتخلص منه، وهو المنهج نفسه في الديالكتيكية، إذ يقوم على أساس الحقيقة القائلة: "...أن كل الأشياء والظواهر والعمليات والحقائق الطبيعية والإنسانية والسياسية في العالم، هي دائما حالات ترابط وتشابك وتداخل مستمر، وهي دائما في حالات تناقض وصراع وتفاعل داخلي قوي محرك ودافع وباعث على الحركة والتغيير والتطور والارتقاء والتقدم من شكل إلى شكل، ومن حالة إلى حالة، ومن صورة إلى صورة جديدة أخرى، ونتيجة للتناقض والتضاد والصراع الداخلي بين عناصر الأشياء الداخلية توجد الظواهر والحقائق..."[140].

أي أن أساس الوصول إلى الحقيقة وفق المنهج الديالكتيكي[141]، هو الفكر القائم على الاختلاف والتضاد والصراع بين الأفكار والحقائق والأشياء والمؤدي في الأخير إلى ظهور الحقيقة، والتي تظهر في المناظرات من خلال اختلاف رأيين، واعتماد الحجج والبراهين المثبتة التي تؤدي منطقيا إلى الوصول إلى حقيقة القضية المتناظر فيها أو المتجادل عنها، فالمناظرة ضمن الخطاب الرحلي من هذا الطرح تقابل الديالكتيكية كونهما يعبران عن نفس المعنى فكلاهما: "فن جدل وحوار وطريقة من طرق التفكير يعملان على تحليل الواقع والظواهر الاجتماعية على أساس تناقضها وذلك من أجل تجاوزها والوصول إلى الحقيقة"[142].

هذا وتندرج المناظرات أيضا ضمن تحليل الأنظمة الفكرية في مصطلحات التناقضات الثنائية التي تكون ملهمة بمنطقهم الداخلي، إذا افترض أن بعض تلك التناقضات كوني، وقد ألهمت ذلك مناهج اللغويات التركيبية ،وفهم ذلك على أنه أسلوب بديل للمنهج الذي يسلكه العلم في دراسة الثقافة[143].

خاتمة:

ساهمت الرحلات الحجازية للجزائريين خلال العهد العثماني من خلال ما حفلت به من علوم ومعارف، وأسماء للعلماء والأدباء في إبراز ملامح التواصل العلمي والثقافي والحضاري بين دفتي الوطن العربي، فكانت بحق مصدرا تاريخيا في هذا المجال يؤكد آلية التبادل، ورغم اقتصار موضوعنا على بعض الآليات الواردة في الخطاب الرحلي، كالتدريس والإجازات والمناظرات، إلا أن هذا لا ينفي وجود آليات أخرى، كالتأليف وتبادل الرسائل والإشادات، كما أن اقتصار ذكرنا للعلوم الشرعية لا ينفي تناولها لعلوم أخرى، مثل علم الكلام وأصول الدين والبلاغة وعلم البيان والمنطق والكيمياء والعقائد والتوحيد، كأسس لدينامية علمية ثقافية وتواصل علمي خلال موسم الحج، من ثم فقد عادت الشعيرة الدينية بفوائد جمة على مكتبة الرحلات، كل هذا رصدناه من خلال قراءتنا لبعض الرحلات الحجازية للجزائريين من أجل لفت انتباه الباحثين إلى أهميتها في الدراسة والبحث التاريخي.

الهوامش:

1 القرآن الكريم: سورة الزمر، الآية 09.

2 نفسه، سورة العلق، الآية 01.

3 فوزي محمد عبده الساعاتي: العلاقات الثقافية والاجتماعية في موسم الحج من خلال علماء بلاد المغرب العربي عبر القرون، ص 52.

4 محمد مكامان: الرحلات المغربية (ق XI-XII هـ/XVII-XVIII م)، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 72، الرباط، 2014، ص 138.

5 حامد زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، 2003، ص 160.

6 نفسه، ص 167.

النظرية الانتشارية :نظرية معرفية في علم الانتروبولوجيايقول دعاتما بان التلاحم و الترادف و التفاعل بين الشعوب المختلفة قام على الاحتكاك الثقافي الذي ساهم يانتشار المزايا و الصفات الثقافية من جيا الى اخر.انظر حامد زهران :علم النفس الاجتماعي ،ص123.

7 سارة بوزرزور: الترجمة وفعل المثاقفة في ترجمة ''رواية الزلزل للطاهر وطار''، مارسيل بوا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، إشراف د. فرقاني جازية، جامعة واهران، 2010-2009، ص 70.

8 فاطمة الجامعي الحبابي: الترجمة والتلاقح الثقافي بين آل محمد عزيز الحبابي، ط6، ثمارة العرب، 1998، ص 101.

9 إيكه هولكتراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ط1، تر: د.محمد الجوهري، د. حسن الشامي، دار المعارف، مصر، 1972، ص 92.

10 أنظر رحلة أبو العباس المقري: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مخ.م.و ذ رقم: 3191.

رحلة الحسين الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط2، تح: ابن شنب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985/1394.صاحب الرحلة هو العالم الجزائري الحسين بن محمدالسعيد بن الحسين علي البكاء البجائي الف رحلته بعدما سافر الى الحجاز ثلاث مرات الرحلة الاولى سنة1153هو الثانية 1168ه و الثالثة1179 ه.

رحلة أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: د. محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982. صاحب الرحلة العالم الجزائري هو محمد بن احمد بن عبد القادر الراشدي المعسكري رحل الى المشرق مرتين .

11 نوال الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تقديم: أ. صلاح جرار، دار المألفون للنشر والتوزيع، عمان، 1448هـ-2008-م، ص 77.

12 أنظر عبد الله عياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، ط1، تصدير السيد مرتضي العسكري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967، ص 63.

13 أنظر التهانوي محمد بن علي (ت 1202هـ): كشاف اصطلاحات الفنون، تح لطفي عبد البديع، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1382هـ/1963، ص 93. توفي التهناوي سنة 1191ه و هو العالم محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي

أنظر أيضا: ابن حجة تقي الدين أبو بكر المعروف بابن حجة الحموي (ت 837هـ): حراسة الأدب، دار الطباعة، القاهرة، 1291، ص 102.

14 السخاوي شمس الدين: فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 62.

15 محمد المنوني: ورقات في حضارة المرينيين، الرباط، 1996، ص 279.

16 إيكه هولتكراس: قاموس المصطلحات، ص 227.

17 أبو راس الناصري: فتح الإله، ص 41.

18 إيكه هولكتراس: قاموس المصطلحات، ص 71.

19 سمي طلب الإجازة في المصطلح الاستجازة أو الاستدعاء ويكون لفظا أو كتابة أو شعرا أو نثرا أو هما معا وقد لجأ طلبة الإجازة الشعرية منذ القرن 4هـ (10م)، كما لجأ الشيوخ إلى كتابة الإجازة شعرا، وذلك ردا على الاستجازة الشعرية من باب المراعاة في الجوانب حتى لا يكون الشيخ أقل من تلميذه في الخطاب. أنظر فوزية لزغم: الإجازات العلمية لعلماء الجزائر، صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة، دار سنجاق الدين للكتاب، 2009، ص 31.

20 الناصري: فتح الإله، ص 50.

21 نفسه، ص 59.

22 من أقدم الإجازات الكتابية إجازة بخط أحمد بن أبي خيمة. أنظر عبد الله فياض: الإجازات العلمية، ص 23.

23 أبو العباس أحمد بن محمد المقري: روض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ/1983م، ص 305-304.

24 القاضي عياض: الإجماع إلى أصول الرواية وتفسير السماع، ط2، تح: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، المكتبة العتيقة، تونس، 1987، ص 90.

25 بيار يؤثث وميشال إيزار: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد مجد، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ص 350.

26 أنظر روضة الآس المقري، ص 322-329.

27 المقري: الرحلة، ص 71. أنظر أيضا المحبي محمد أبي فضل الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط4، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 174-173. محمد بن عبد الكريم: المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 271.

28 المقري: الرحلة، ص 78-77.

29 إيكه هولتكراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا، ص 65.

30 أحمد المقري: الرحلة، ص 116-111.

31 نفسه، ص 68.

32 نفسه، ص 69-68.

33 نفسه، ص 149.

34 نفسه، 90-89.

35 نفسه، ص 90.

36 شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي-عربي، ط1، جامعة الكويت، 1981، ص 234.

37 الحسين الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج2، تح: فارس كعوان، محفوظ بوكراع: صدر هذا الكتاب في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص 286.

38 نفسه، ص 287.

39 نفسه، ص 287.

40 الورثلاني: الرحلة، تح: ابن شنب، ص 285.

41 نفسه، ص 255.

42 نفسه، ص 286.

43 نفسه، ص 287.

44 نفسه، ص 299.

45 نفسه، ص 293.

46 شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، ص 234.

47 المقري شهاب الدين أحمد: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، تح: إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1988، ص 675.

48 الجنحاني الحبيب: المقري صاحب نفح الطيب

–دراسة تحليلية–، مطبعة النهضة، تونس، 1955، ص 54.

49 المقري: نفح الطيب، ج1، ص 555.

50 المقري: روضة الآس، ص 17.

51 المقري: نفح الطيب، ج1، ص 544.

52 ابن عمار:

53 أنظر الورثلاني: الرحلة، تح ابن شنب، ص 286.

54 الناصري: فتح الإله، ص 48.

55 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائري الثقافي، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1900، ص 376.

56 أبو راس الناصري: فتح الإله، ص 23.

57 إيكه هولكتراس: قاموس المصطلحات، ص 65.

58 الورثلاني: الرحلة، مج1، ص 16.

59 هو عبد الرحمان بن عمر بن محمد التنلاني: عالم جزائري من منطقة تنلان، بأدرار، زبر رحلته إلى الحجاز بعد تنقله لأداء فريضته، أنظر أنظر محمد بن عبد الكريم التمنطيطي: جوهر المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، مخطوط الخرابة بتمنطيط، أدرار، الورقة 39.

60 هو ابن بحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز التميني السبحيني المصعبي: عالم ورحالة جزائري من منطقة يسجن وقطب من أقطاب بني ميزاب له رحلة حجازية ألفها لما انتقل إلى الحج سنة 1196م1781–هـ. أنظر إبراهيم بن بحمان المصعبي: رحلة المصعبي، تح: يحيى بن بهون، الجزائر، 2006، ص43–27.

61 الناصري: فتح الإله، ص 92.

62 نفسه، ص 131.

63 الورثلاني: الرحلة، مج 3، ص 229–221.

64 نفسه، ص 230.

65 التنلاني: الرحلة، ص 01.

66 نفسه، 454.

67 المقري: الرحلة، ص 63. أنظر أيضا المجي: خلاصة الأثر، ج1، ص 236–234.

68 المقري: الرحلة، ص 70.

69 الورثلاني: الرحلة، مج 3، ص 304.

70 نفسه، ص 260–259.

71 نفسه، ص 268–267.

72 الورثلاني: الرحلة، تح ابن شنب، ص 307.

73 شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، ص 234–233.

74 إيكه هولتكراس: معجم المصطلحات، ص 65.

75 حمل حرب محمود: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، تهامة، جدة، 1405هـ/1975م، ص 97.

76 الورثلاني: الرحلة، مج 3، ص 302.

77 نفسه.

78 ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/1406م): مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص 119–118.

79 التهانوي محمد بن علي، ص 34.

80 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 13.

81 عبد الكريم لفقون بن محمد (ت 1073هـ/1662م): منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ط1، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 63.

82 المحبي: خلاصة الأثر، ج1، ص 302.

83 مناع خليل القطان: مباحث في علوم القرآن، ط7، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت، ص 175.

84 أحمد المقري: إعراب القرآن، المكتبة الأهلية بارنير، د.ت، ص 239.

85 المقري: الرحلة، ص 73.

86 الورثلاني: الرحلة، تح: ابن شنب، ص 306.

87 نفسه، مج 3، ص 269.

88 نفسه، ص 303.

89 الناصري: فتح الإله، ص 136.

90 نفسه، ص 131.

91 نفسه، ص 164.

92 أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقري الأبصاري السرقسطي (ت 455): العنوان في القراءات السبع، تح: زهير زاهد، خليل العطية، عالم الكتاب، بيروت، 1405هـ، ص 31.

أشهر من قرأ القرآن في المدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيص وبالكوفة يحيى بن وثاب بن أبي إسحاق وعيسى بن عمير بن العلا وعاصم الجحدري وبالشام عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر وشريح بن زيد الحضرمي، وجاء بعدهم الإمام أحمد بن موسى بن العباس (ابن مجاهد ت سنة 324هـ) فأفرد القراءات السبع ودونها في كتابه القراءات السبع. أنظر

93 إيكه هولتكراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا، ص 68.

94 المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ج1، تح: مصطفى السقا وآخرون مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1940، ص 50.

95 عبد الرحمان بن إدريس التنلاني: رحلة التنلالي إلى الحج، تح: خير الدين شترة وعبد الرحمان درار، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 284.

96 الورثلاني: الرحلة، تح ابن شنب، ص 623.

97 الناصري: فتح الإله، ص 42.

98 نفسه، ص 135.

99 نفسه، ص 135.

100 نفسه، ص 110.

101 الورثلاني: الرحلة، تح: ابن شنب، ص 304.

102 نفسه، ص 299.

103 نفسه، 292.

104 الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: الفقه الإسلامي نشأته وتطوره، ط1، معهد الدراسات الإسلامية، 1988-1408، ص 78.

105 القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآيتين 97-96.

106 أحمد بن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1330هـ/1902، ص 05. صاحب الرحلة العالم الجزائري احمد بن عبد الله الجزائرى ابو العباس رحل الى الحجاز سنة1166ه وظل مجاورا بها 12 سنة ثم رحل الى تونس و عاد الى الحجاز سنة1195ه

107 نفسه، ص 05.

108 الورثلاني: الرحلة، مج 2، ص 54 إلى 57.

109 الناصري: فتح الإله، ص 159- 161-162.

110 المقري: الرحلة، ص 31.

111 القرآن الكريم: سورة التغابن، الآية 15.

112 الناصري: فتح الإله، ص 159.

113 نفسه، ص 145.

114 الورثلاني: الرحلة، تح: ابن شنب، ص 314.

115 ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ط2، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص 127.

116 نفسه، ص 128.

117 ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ص

127.

118 الناصري: فتح الإله، ص 58.

119 نفسه، ص 179.

120 عبد اللطيف سلامي: المدخل إلى فن المناظرة، ص 45.

121 عبد السلام مختار سنقور: المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426، ص 104.

122 المقري: نفح الطيب، ج1، ص 33.

123 الناصري: فتح الإله، ص 111.

124 نفسه، ص 115.

125 نفسه، ص 116.

126 نفسه، ص 119.

127 نفسه، ص 119.

128 نفسه، ص 120-119.

129 نفسه، ص 120.

130 الناصري: فتح الإله، ص 119.

131 نفسه، ص 104.

132 الورثلاني: الرحلة، تح ابن شنب، ص 296-295.

133 نفسه،ص 287.

134 نفسه، ص 287.

135 ابن عمار: الرحلة، ص 233.

136 نفسه، ص 234.

137 نفسه، ص 103-102 وبعدها.

138 هيجل والتر ستيس: المنطق وفلسفة الطبيعة، ط3، المجلد الأول من فلسفة هيجل، تر: د. إمام عبد الفتاح إمام، تقديم: زكي نجيب محمود، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 44.

139 جوزيف ستالين: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، تر: قدري محمود حلفي، دار دمشق للطباعة والنشر، د.ت، ص 103.

140 أنظر عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002، ص 80.

141 أخدت كلمة ديالكتيك من الكلمة اليونانية (ديالغو) ومعناها المجادلة والمحادثة وكان الديالكتيك يعني في عهد الأولين فن الوصول على الحقيقة، باكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم وبالتغلب عليها. (أنظر تعريف الديالكتيكية في قاموس المعجم الوسيط ومعجم المعاني الجامع).

142 جوزيف ستالين: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص 130.

143 Claude Levi : Strauss the Structural study of myth in the journal of amirical fol klove, Vol 68, N°270, Myth a sym posium COCT, Dec 1955, p p 428-444.